

تاريخ تطور اللغة الكوردية

الى بقية انحاء اوراسيا وكانوا يتكلمون قبل تفرقهم لغة واحدة، الا ان انتشار قبائلهم الواسع عبر قارتين وانقطاع الاتصال المباشر بين تلك القبائل ساعد، بمرور الزمن، على انقسام تلك اللغة الى مجموعات لغوية عديدة، الا انها ظلت تشترك بسمات رئيسية تدل على اصلها الآري المشترك والتي سميت فيما بعد، نظراً لاتساع رقعة انتشارها الجغرافي من الهند في جنوب آسيا الى قارة أوروبا، باللغات الهندو - اوربية (Indo- European Languages).

وتصنف اللغة الكوردية الآن على انها لغة تنتمي الى هذه المجموعة اللغوية، وانها تبعاً لذلك لغة آرية في خصائصها اللغوية والنحوية.

ان تبلور اللغة الكوردية وتطورها وسلوكها المسار الاستقلالي بين مجموعة اللغات الهندو- اوربية واكتسابها الهوية المميزة الخاصة بها كلغة للأمة الكوردية، لا يمكن تفسيره الا من خلال ربط كل ذلك بالمراحل التاريخية التي مرّ بها الشعب الكوردي ذاته.

ابتداءً يجب القول ان الكورد الذين ينتمون الى الكوتيين الذين يعود اقدم ذكر لهم في جبال زاكروس الى ٣٨٠٠ ق.م، كانوا يتكلمون لغة خاصة بهم قبل وصول الموجات الآرية الاولى الى كوردستان وجبال زاكروس، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان اللغة الكوردية الأولية أو البـدائية (Proto-Kurdish- Language).

والتي تتمثل باللغة الكوتية، كانت لغة متداولة بشكل واضح في الألف الاول قبل الميلاد، لأن هذه اللغة الكوردية الأولية أخذت تتأثر بالمفردات والاسماء الآرية ابتداءً من القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

أي مع ظهور طلائع الهجرات الآرية الى جبال زاكروس (كوردستان الحالية)، وان

هذا البحث محاولة لتابعة تاريخ تطور اللغة الكوردية ولهجاتها على ضوء المتابعة الشخصية لهذا الموضوع استناداً الى العوامل التاريخية والاجتماعية والجغرافية التي اثرت على اللغة الكوردية عبر الزمن. لذا فإن الهدف الاساس للبحث هو تحديد الفترات الزمنية لكل مرحلة أو تطور في هذه اللغة ولهجاتها ورسم شكل يوضح ذلك.

تنتمي اللغة الكوردية الى عائلة اللغات الهندو- اوربية، وهذه العائلة اللغوية تطورت بدورها من لغة قبتاريخية يسميها المختصون باسم اللغة الهندو- اوربية الاولى او البدائية (Proto-Indo- European)

ويعتقد أنها كانت سائدة في الألف الخامس قبل الميلاد.

كان طلائع المتكلمين بهذه اللغة يدعون بكورگان (Korgans) وكانوا يعيشون في إقليم الاستبس الاوراسي بين نهر الفولغا شمال بحر قزوين وشرق نهر الرون وغرب جبال اورال بحدود ٤٣٠٠ ق.م وهم الذين سموا فيما بعد بالآريين.

هاجر الآريون من موطنهم الأصلي ذاك

التأثر اللغوي الآري ظل يفعل فعله في هذه اللغة حتى مجيء الميديين الذين اندمجوا بالكوتيين وفرضوا عليهم لغتهم وثقافتهم وبالتالي اكتسبت اللغة الكوردية كامل مميزاتها اللغوية الهندو-اروبية بحدود ٧٠٠ ق.م. وقد اقترن ذلك بظهور اللغة الكوردية الميديدية التي دامت ١٥٠ عاماً (٧٠٠-٥٥٠ ق.م) وهي فترة الحكم الميدي.

إن السلطة الميديدية لم تفرض هذه اللغة وحسب، بل صانتها ودافعت عنها وعممتها، وهذا يعني ان الشعب الكوردي آنذاك كان يتكلم لغة موحدة بدون لهجات اساسها الدمج اللغوي الكوتي والميدي. وعليه يمكن الاستدلال بأن اللغة الكوردية الحالية، كلغة هندو-اروبية مستقلة واضحة المعالم، قد تكونت في حدود ٥٠٠ ق.م. واستمرت كذلك زهاء الالف عام، أي الى عام ٥٠٠ ميلادية، (لاحظ الشكل المرفق). ولكن يجب ان يلاحظ بان اللغة الكوردية الحالية لم تكن لغة آرية نقية بالكامل لأنها وليدة الدمج اللغوي الميدي-الكوتي، ولعل كل المفردات اللغوية الكوردية التي لا يرجع اصلها الى اللغة الآرية هي مفردات من بقايا اللغة الكوتية والتي لم تصهرها لغة الميديين الاولى، وشكلت تبعاً لذلك الجزء المكمل لهذه اللغة.

بعد ان تبلورت اللغة الكوردية وتحولت الى لغة آرية مستقلة موحدة، بدأت تتفرع الى لهجات لا تتعد كثيراً عن جوهر اللغة الأم، ويبدو ان ذلك حدث بعد الف وخمسمائة عام من سقوط الامبراطورية الميديدية، ففي حدود ١٠٠٠ ميلادية ظهرت على المسرح الجغرافي لكوردستان اربع لهجات لغوية رئيسية لهذه اللغة هي حسب تصنيفها لها: الكرمانجية الشمالية، والكرمانجية الوسطى، والكورانية، والكرمانجية الجنوبية.

ان ظهور هذه اللهجات يرتبط هو الآخر

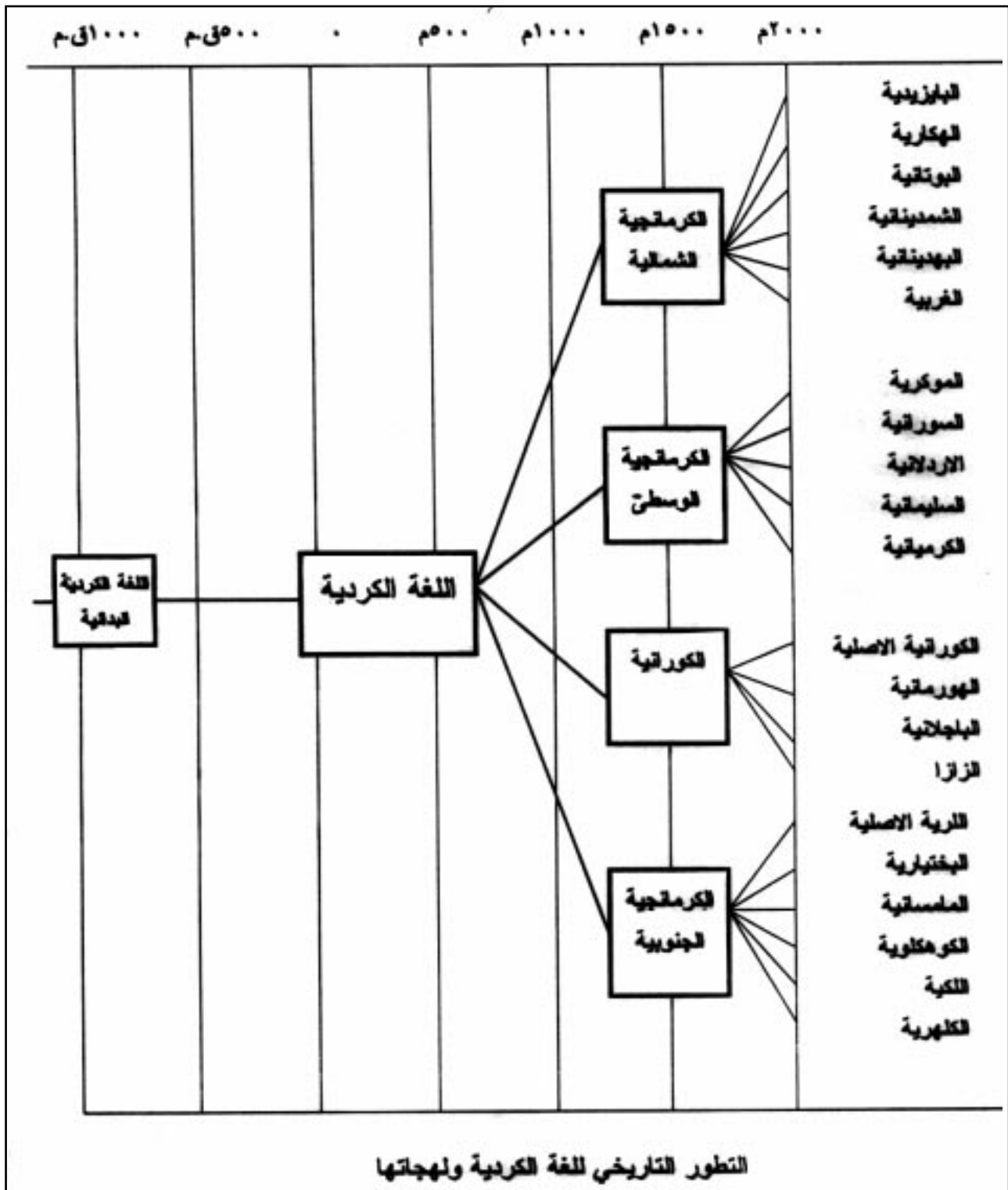
بالتطور التاريخي للأمة الكوردية وبتاريخها السياسي ووضعها الجغرافي. فبعد سقوط الامبراطورية الميديدية عام ٥٥٠ ق.م، لم يتسن للكورد بعد ذلك التاريخ من أن ينشؤا أية سلطة سياسية تحمي لغتهم من التشتت والانقسام، بل خضعوا ومنذ ذلك التاريخ المبكر للحكام الاجانب الذين لم يكثرثوا ابداً بمصير هذه اللغة.

كانت لهذه الحالة السياسية انعكاسات سلبية عن اللغة الكوردية الموحدة. فقد انزلت القبائل الكوردية واستقلت عن بعضها بعد ان فقدت السلطة الأبوية التي كانت تحميهم جميعاً، وسمح الوضع الجديد بأن يتحمل كل رئيس قبيلة المسؤولية الاخلاقية لحماية القبيلة من المؤثرات السلطوية الاجنبية، محافظين بذلك على تقاليدها ولغتها وحريتها كل ضمن حدود قبيلته. لكن اتساع الرقعة الجغرافية لكوردستان وطبيعتها الجبلية الوعرة وظهور الحالة القبائلية هذه، ساهم في زيادة العزلة الجغرافية بين القبائل، وأدى ذلك بمرور الزمن الى الزيادة الفروق اللغوية من خلال التحرير اللفظي للعديد من المفردات اللغوية، فضلاً عن ظهور المفردات الجديدة عبر مراحل التطور الحضاري اللاحقة في كل إقليم من أقاليم من أقاليم القبائل.

لم يتوقف الانشطار اللهجوي في اللغة الكوردية عند هذا الحد، بل ان نفس العوامل السياسية والجغرافية والاجتماعية اضافة الى نمو القبائل وانشطارها الى افخاذ وفروع وهجرة بعضها الى مواقع مختلفة من ارض كوردستان، واندماج بعضها ببعض الآخر، خلال الخمسمائة سنة اللاحقة لتشكيل اللهجات الرئيسية الاربع أي بحدود ١٥٠٠ ميلادية، بدأت الفروق اللغوية المحلية تتحول تدريجياً الى مانسميه الآن باللهجات المحلية الخاصة

بالمناطق المحلية التابعة للهجات الرئيسية الاربع السابقة- لاحظ الشكل-، وهكذا يتضح انه كلما طالت الفترة التي يفتقد فيها الكورد لسلطة قوية تفرض عليهم لغتهم الموحدة، زادت الفروق اللغوية المحلية، وكثرت المفردات الغريبة المضافة وظهر التصرف اللغوي الكيفي وتعددت اللهجات المحلية ولعل هذه اللهجات المحلية الحالية هي الأخرى قابلة للانشطار والزيادة على ضوء تأثر اللغة الكوردية أو أي من لهجاتها الرئيسية أو المحلية بالمفردات العربية أو الفارسية أو التركية، وقد يؤدي ذلك مستقبلاً الى ظهور لهجات محلية جديدة.

خلاصة القول ان التطور التاريخي للغة الكوردية يمكن رسمه وتتبعه وفق الشكل المرفق والذي يمثل النتيجة التي يهدف الى بيانها البحث؛ لذا يمكن القول واستناداً الى ذلك بأن بدايات ظهور اللغة الكوردية في جبال كوردستان يرجع الى عام ١٠٠٠ ق.م متمثلة بلغة الكوتيين، وان هذه اللغة استكملت هويتها اللغوية الآرية المميزة بعد وصول الميديين الى كوردستان فتحوّلت بهم الى لغة هندو-اروبية واضحة بحدود ٥٠٠ ق.م واستمرت كذلك في جبال كوردستان حتى عام ١٠٠٠م، أي زهاء الف وخمسمائة عام كلفة عامة موحدة للشعب الكوردي، لكنها ولاسباب سياسية وادارية واجتماعية وجغرافية ظهرت لها بعد ذلك التاريخ اربع لهجات رئيسية، وبعد خمسمائة عام من ذلك التحول طرأ تحول آخر اذ تفرعت من تلك اللهجات الرئيسية لهجات محلية أو اقليمية عديدة هي اللهجات المحلية في يومنا هذا، ويتوقع الباحث ان يزداد عدد اللهجات المحلية الكوردية؛ مادامت العوامل التي اوجدتها في السابق لاتزال لها نفس الفعل.



5- Williams, Henry smich,
The historians history of the
world, Vol, I,
The Encyclopaedia Britannica
Co., New York 1926.

٦- فؤاد حمه خورشيد، اللغة الكردية
والتوزيع الجغرافي ولهجاتها، مطبعة
الوسام، بغداد، ١٩٨٢.

3- Rubenstein, J.M.,
the cultural landscape,
West Publisher
Co., Saint Paul, 1983.

4-The Cambridge Ancient
history, Vol. 1, Part
2, Cambridge University press,
1971.

1- Moeis, Williams,
The Heritage illustrated
Dictionary of the English
Language, New York, 1973.
2. Roux, Georges, Ancient
Iraq, Penguin books, The
Chaucer press, 1964.

المصادر :